

الإمامية في الإسلام

إعداد

نوفيق محمد نصيري

عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة

مقدمة

الحمد لله غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، ذي
الطول لا إله إلا هو العزيز الوهاب، كل شيء دونه هباب، وكل
صنع غير صنعه مُنكَّرٌ عَجَاب، ضرب المثل في كتابه بالذباب،
فَضَعُفَ المطلوب والطلّاب.

والصلاة والسلام على سيد الأنام، قائد الأمة الإمام، أدّى
الدين وبلغ الرسالة على أحسن وجوه التمام، فعليه أزكى الصلاة
وأكمل السلام، وعلى آله وأصحابه الأعلام، وسلم تسليماً كثيراً
من يومنا هذا إلى يوم الزحام، وعلى كل من اهتدى بهداهم
واقتنى أثرهم ما سارت تظلل الأرض الغمام، وما ناحت على
الأيك الحمام، وما صلى عبد وصام، وسلم تسليماً كثيراً لا انقضاء
له ولا انفصام..

أما بعد..

إن حب آل بيت رسول الله ﷺ هو من الأمور الضرورية التي لا ينبغي أن ينكرها مسلم، ولا أن يعمل ما ينقضها مؤمن، بل إنه من المسلمات في الحياة والاعتقاد، وهذا ما ترجمه الإمام الشافعي شعراً حين قال بلسان العاقل المنصف الذي لم يغل ولم يغال:

يا آل بيت رسول الله حُبُّكُمْ... فرض من الله في القرآن أنزله
 يكفيكم من عظيم الفخر أنكم... من لم يصل عليكم لا صلاة له
 ولكنك عندما تستقري التاريخ تجد أشخاصاً جعلوا من
 حبه لآل رسول الله ﷺ سلم عبور إلى تحقيق رغباتهم التي
 تطعن في الدين وتفت في عضده، وهذا هو ما كان يخشاه الإمام
 جعفر، فعن المفضل قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يوماً - ودخل
 عليه الفيض بن المختار، فذكر له آية من كتاب الله عز وجل يأولها أبو
 عبد الله عليه السلام - فقال له الفيض: جعلني الله فداك! ما هذا
 الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ قال: وأي الاختلاف يا فيض؟

فقال له الفيض: إني لأجلس في حلقتهم بالكوفة فأكاد أن أشك في اختلافهم في حديثهم، حتى أرجع إلى المفضل بن عمر فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي، فقال أبو عبد الله رحمه الله: أجل! هو كما ذكرت يا فيض: إن الناس أولعوا بالكذب علينا^(١)، إن الله افترض عليهم؟ لا يريد منهم غيره، وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا ويحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأساً^(٢).

(١) ومما يؤكد أن الإمام الصادق كذب عليه وتقول عليه كثير من الكذابين: أن كثيراً ممن روى عن الإمام الصادق عليه السلام من أهل الكوفة، وقليل من روى عنه من أهل المدينة، علماً بأن الإمام الصادق عليه السلام ولد في المدينة وترعرع وكبر في المدينة، وتوفي ودفن في المدينة!

(٢) انظر رجال الكشي: (ص: ١٣٥)، بحار الأنوار: (٢/٢٤٦).

فقاموا بالكذب على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كثير من الأقوال، ونسبوا إليه كثيراً من المعتقدات، حتى غلا فيه كثير من الناس بسبب خداع هؤلاء العلماء المفتونين لعوام المسلمين، وصدّهم عن طريق أهل البيت الحقيقي، وقاموا كذلك بالطعن على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ولعنهم؛ حتى يوهّموا العوام بأنهم أصحاب حمية وغيره على مظلومية أهل البيت. ومن تلك المعتقدات التي أصلوا لها تأصيلاً عجيباً في قلوب الناس وفي صفحات كتبهم: الإمامة والولاية، والتي جعلوها ركناً من أركان الدين، ومناطق قبول الأعمال، ولا يستقيم إيمان العبد إلا بهذا المعتقد، وأنه أمر نصّ النبي صلى الله عليه وآله عليه بكلامه الصريح... وغيرها من الأمور التي تعلقّت بالإمامة حتى صارت هي الركن الركين، والحصن الحصين لمن أراد أن يعتقد معتقدتهم.

وفي هذه الرسالة التي بين يديك - أخي القارئ - سنحاول
وضع كل ذلك في ميزان القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة،
ذلك الميزان الذي لا يظلم ولا يجور، ولا يخلط ولا يُجامل.
فتعال بنا أخي نطوف في رحاب الدين الصافي، وهيا بنا
نسلك دروب الصراط المستقيم...

الإمامة في اللغة والقرآن..

أخي القارئ الكريم!

لقد أخذ الاعتقاد بالإمامة منحى عجيباً لا أصل له في الكتاب والسنة، فجعلوا الإمامة هي الامتداد الحتمي لمهام الرسول أو النبي، بحيث جعلوا له من الخصائص العظيمة الجليلة ما لا يقل عن خصائص نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل، وهذا ما لم تقره اللغة فضلاً عن الدين، فلعل من اعتقد هذا الاعتقاد جهل معناه في اللغة العربية.

وقبل أن نعرف ما هي حيثيات هذا الاعتقاد تعال بنا لنكشف عن هذا المصطلح في لغة الرحمن التي نزل القرآن بها، وعندما نقوم بذلك فإننا نجد أن الإمامة هي: التقدم على الغير. والإمام: هو كل من تقدم على من سواه سواء في الخير أو الشر،

وقد سمي الله ﷻ قيادات الكفر أئمة، فقال تعالى: ﴿فَقَتِلُوا أَيْمَةً

الْكَفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (١٢) [التوبة: ١٢].

يقول ابن منظور^(١): الإمام: كل من ائتمَّ به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين. والجمع أئمة، وإمام كل شيء: قيمه والمصلح له. والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وائتمَّ به. أي: اقتدى به. والإمام المثال، وإمام الغلام في المكتب: ما يتعلمه كل يوم. وإمام المثال ما امثل عليه، والإمام الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه،

(١) هو محمد بن جلال الدين مكرم بن نجيب الدين أبو الحسن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي الأفريقي جمال الدين أبو الفضل، المعروف بابن منظور، الأديب اللغوي، نزيل مصر، ولد سنة (٦٣٠) وتوفي بمصر سنة (٧١١). من مصنفاته: (الجمع بين الصحاح للجوهري والمحكم لابن سيده)، و(ذيل على تاريخ ابن النجار)، و(لسان العرب في اللغة). انظر: هداية العارفين (٢/ ٢١)، الأعلام (٧/ ١٠٨).

أئمة)^(١).

وقال عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال عز وجل: ﴿ فَاقْبَلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٢]. أي: قاتلوا رؤساء

الكفر وقادتهم الذين صار ضعفاؤهم تبعاً لهم^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْتَكْرِ ﴾

[الفصص: ٤١]. أي: من تبعهم فهو في النار يوم القيامة^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٦٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن

(١٠/٨٧)، تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن (٨/٨٤).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٩١)، فتح القدير الجامع

بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤/١٧٤).

الإمامة في القرآن الكريم..

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والإمام في لغة القرآن: لفظ مشترك بين ثلاثة معان: القدوة والكتاب والطريق.

وقد جاء في مختار الصحاح للرازي^(١): (الإمام: الصقع من الأرض والطريق. قال الله تعالى: ﴿وَأَتَتْهُمَا لِيَأْمُرَ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩]. والإمام: الذي يقتدى به، وجمعه أئمة... وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

(١) هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، زين الدين، صاحب مختار الصحاح في اللغة، فرغ من تأليفه أول رمضان سنة (٦٦٠ هـ)، وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب، من كتبه: (شرح المقامات الحريرية)، و(حدائق الحقائق في التصوف)، توفي بعد سنة (٦٦٦ هـ). انظر: الأعلام (٥٥/٦)، هداية العارفين (١٢/٢).

قال الحسن^(١): في كتاب ميين) اهـ^(٢).

وورد في (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني^(٣):

(الإمام: المؤتم به، إنساناً - كأن يقتدى بقوله أو فعله - أو

(١) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار بالتحتمانية والمهملة الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس. قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة، هو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة عشر - ومائة وقد قارب التسعين. انظر: تقريب التهذيب (١٢٢٧)، تذكرة الحفاظ (٧١ / ١).

(٢) مختار الصحاح - باب الألف (٢٠ / ١).

(٣) هو الحسين بن محمد بن مفضل الإمام أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصبهاني، نزيل بغداد، توفي سنة (٥٠٠ هـ). له من الكتب: (أخلاق الراغب)، و(أفانين البلاغة)، و(تحقيق البيان في تأويل القرآن)، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة)، و(رسالة في فوائد القرآن)، و(محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء)، و(مفردات ألفاظ القرآن). انظر: هداية العارفين (١٦٥ / ١).

تطور عقيدة الإمامة..

إن من أعظم الأمور التي تدل على بطلان عقيدة الإمامة، أنها لم ترد كأمر إلهي أو نبوي في الكتاب أو السنة، وإنما بدأت مجرد مقالة اعتقدها شخص من بني الإنسان وليس نبياً مرسلًا ولا ولياً من الأولياء حتى أنه ليس مسلم، وهذه المقالة تقول أن النبي ﷺ نصَّ بخلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهنا يطرح سؤال نفسه: من أول من قال بهذا؟

والجواب: يذهب معظم العلماء الذين أرخوا لتاريخ ظهور الفرق الإسلامية، إن أول من أظهر هذه المقالة هو عبد الله بن سبأ اليهودي الذي كان من أهل الفتنة والزيغ، قال الشهرستاني: (وكان يقول في اليهودية في يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام) مثل ما قال في علي عليه السلام، وهو أول من أظهر القول بالنص

بإمامة علي عليه السلام، ومنه تشعبت أصناف الغلاة..^(١).
من هذا النص يتضح أن عبد الله بن سبأ لم يكن صاحب
المقالة التي أشيعت عنه بالقول بألوهية علي عليه السلام فقط، كما روى
ذلك عدد من المؤرخين، بل إن المقالة الأخطر والتي لاقت
رواجاً كبيراً فيما بعد، وكانت الأساس الذي قامت عليه بعض
الفرق، هي قوله بالنص على إمامة علي عليه السلام، وبأن الصحابة
عليهم السلام قد خالفوا وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وحاشاهم من ذلك -
عندما بايعوا أبا بكر الصديق عليه السلام، وهذا واضح من خلال
الروايات المتناثرة التي وردت في كتبهم أنفسهم، فقد رويت أكثر
من رواية تفيد بأن عبد الله بن سبأ كان يدخل على أمير المؤمنين
علي عليه السلام في خلافته مع بعض أصحابه^(٢).

(١) الملل والنحل: ١/ ١٧٤

(٢) ينظر على سبيل المثال: الطوسي، تهذيب الأحكام: ٢/ ٣٢٢؛ المجلسي،

بحار الأنوار: ٣٣/ ٥٦٦

ومن هنا رجح الحافظ ابن حزم الظاهري بأن عبد الله بن سبأ قد ادعى الإسلام، ولم يسلم حقاً: (ليضل من أمكنه من المسلمين، فنهج لطائفة رذيلة كانوا يتشيعون في علي عليه السلام أن يقولوا بألوهية علي)^(١)، وليس هذا كلام العلماء من فرقة معينة، بل هو كلام العلماء القائلين بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام الله، أن عبد الله بن سبأ اليهودي كان أول من أشهر القول بإمامة علي وسائر أهل بيته، فعن الكشي قوله: (وذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون، فقال في إسلامه في علي مثل ذلك، وكان ابن سبأ أول من أشهر القول بإمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم، فمن هنا قال من خالف

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١/ ١٩٥

الشيعة عن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهود^(١).
وهذا النص يبين مقالة خبيثة أخرى أظهرها عبد الله بن
سبأ، وهي البراءة من أعداء علي كرم الله تعالى وجهه، ويعني
بعبارة أخرى البراءة من الصحابة رضي الله عنهم، لأنهم هم الذين
حرموه من حقه، وهذه المقالة لا زالت عند القائلين بنص
الإمامة لهذه اللحظة!، فكانت خطة عبد الله بن سبأ ترمي إلى
زعزعة احترام المسلمين لخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، وبذلك
يكون قد حقق غرضين من فعلته هذه:

الأول: تفريق المسلمين بعد أن حثهم الله تعالى على التمسك
بقوة بهذا الدين وعدم تتبع السبل: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: ١٥٣].

(١) المامقاني، تنقيح المقال: ٢ / ١٨٤؛ المجلسي، بحار الأنوار: ٢٨٧ / ٢٥

والثاني: إظهار الطعن بصحابة النبي ﷺ، وبالتالي التشكيك بالإسلام وشرعه، وهذا يقطع صلة الاتصال بين المسلمين والصحابة رضي الله عنهم، ومع شديد الأسف حصل هذا بالفعل، وانطوى على كثير من الناس ممن سلك مسلك القول بالإمامة وهو لا يدري بأصله.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل تطورت هذه المقالة بشكل يثير الاهتمام والغرابة، وتلقفتها الأيدي رغم موت ابن سبأ واضمحلال فرقته التي ادعت ألوهية علي رضي الله عنه، بحيث لعنه أهل البيت كما ورد ذلك: فعن زين العابدين علي بن الحسين قال: (لعن الله من كذب علينا، إني ذكرتُ عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة من جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً ماله لعنه الله. كان علي رضي الله عنه والله عبداً صالحاً لله أخاً لرسول الله، ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الكرامة من الله إلا بطاعته الله^(١).

من هذا يتضح تحذير أئمة أهل البيت من هذا الرجل، ومن كذبه على لسانهم خاصة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكانوا على علم بما دعا إليه وما انتشر على لسانه من مقالات الزيف والضلال.

فكيف بمن يدعي حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يعمل بكلام من يهودي حذر منه أهل البيت ونبذوا كلامه وراءهم ظهرياً.

وقد تطورت هذه المقالات التي دعى إليها عبد الله بن سبأ على أيدي كثير من أهل الأهواء الذين وجدوا فيها بيئة خصبة لزرع هذه المقالات من جديد بحيث تكون أكثر إقناعاً وقبولاً، ومن أشهر هؤلاء هشام بن الحكم الكندي (ت ١٩٥ هـ)^(٢)، وقد

(١) رجال الكشي: ص ١٠٠؛ المجلسي، بحار الأنوار: ٢٨٦/٢٥

(٢) ترجمته في: الفهرست: ص ٢٤٩؛ مقالات الإسلاميين: ص ٣١؛ لسان

وصفه ابن قتيبة وكان معاصراً له بقوله: كان غالياً، ويقول في الله تعالى بالأقطار والحدود والأشبار وأشياء يتحرج من حكايتها وذكرها لا خفاء على أهل الكلام بها^(١)، واشتهرت هذه المقالة عنه وتواترت حتى أصبح لا ينكرها إلا من ينكر القمر ليلة البدر.

وقد شارك الحكم بن هشام هذا مع آخرين -سيأتي ذكرهم- في عملية تطوير مقالة الإمامة التي أظهرها عبد الله بن سبأ اليهودي.

والعجيب أنك تجد من يعظمون هذا الرجل التعظيم الكبير، مع أنهم يروون في كتبهم ذم علماء أهل البيت له خاصة جعفر الصادق ففي رواية أخرجهما الكليني عن علي بن حمزة قال: قلت لأبي عبد الله: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله جسم صمدي نوري معرفته ضرورة يمنّ بها على من يشاء

(١) تأويل مختلف الحديث: ص ٤٨

من خلقه، فقال: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو
 ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)^(١)،
 ففي هذه الرواية تصريح بأن هشام هذا كان يكذب على
 الصادق، فكذبه الأخير، فكيف يحل الأخذ عن هذا الرجل
 وعده من أوثق رجالهم؟!.

وتدرجياً بدأت ترسخ فكرة الإمامة، مع عدم تعيين أيأ من
 الأئمة، وكان الهدف من ذلك تغذية الجوانب كافة، وعدم تحديد
 اتجاه معين، لكي يقع الاختيار على المقالة التي يمكن أن تعيش
 طويلاً وتتفرع منها شجرة خبيثة التي بدأت تتلفها أيدي
 المنافقين، وتشذبهما حتى ظهرت مقالة قريبة منها، وهي أن
 الإمامة هي بمنزلة النبوة، بل تزيد عليها، لأن الأرض قد تخلو
 من نبي ولكنها لا يمكن أن تخلو من إمام كما روي فيما بعد، فإذن

(١) الكافي: ١/ ١٠٤

وظيفة الإمام لا تنحصر في وظيفة البلاغ المبين، بل هو حجة الله تعالى على خلقه رغم أن ذلك يعارض القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩) وقال أيضاً: ﴿ لئَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾.

والناظر لتطور نظرية الإمامة يجدها غير واضحة المعالم، في الوقت نفسه الذي اختلفت فيه تفاصيل الإيمان بها عند فرق القائلين بالإمامة المختلفة، وفي تحديد الإمام الواجب الإتيان، وإن ذهب أغلب الشيعية إلى القول بإمامة البيت العلوي، وبالتحديد إمامة الفاطميين، بل أصبح هذا النسب محط أنظار الطامعين في الوصول للسلطة، مثل العبيديين الذين ادعوا النسب الفاطمي، رغم أنهم لا يمتون بصلة إليه.

وعقيدة الإمامة قد تطورت مع مرور الوقت، حتى أصبحت الفرق التي تعتقدها تتنافس لكسب الأعوان ووصل

بها الأمر إلى أن تكفّر بعضها بعضاً، فالذين يقولون بإمامة موسى الكاظم بعد جعفر الصادق يكفرون الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، بل يكفرون عدد من رجال البيت الطاهر مثل تكفيرهم جعفر بن موسى الكاظم لأنه أنكر أن يكون لأخيه ولد، فكفروه ولقبوه بالكذاب لهذا السبب.

وهكذا فإن الاعتقاد بالإمامة جر أصحابها إلى الوقوع في محظورات وأمور فظيعة، مثل تكفير كل من لم يعتقدوها، وكذلك الغلو في الأئمة إلى حد كبير.

فيا أخي الكريم!

كيف يعتقد المسلم عقيدة شرّعها يهودي وكيف لنا أن نرجو

الخير من يهودي؟

ثم إنها خضعت لتعديلات البشر - على مر العصور،

وتطورت بفعل مخططاتهم فكيف نستمد عقائدنا من بشر مثلنا؟

غلو.. لا سقف له..

كان للقول بالإمامة تبعات كبيرة حيث جرّ القائلين به إلى غلو مفرط في الأئمة، إلى حد أن عقل الإنسان لا يستصيح كثيراً من ذلك، ولعل ذلك لعدة أسباب من أهمها: عدم وجود نص قرآني أو نبوي يقرر هذه العقيدة مما اضطرهم إلى اختلاق هذا الكم الهائل من الغلو ولو كان ذلك كذباً وزوراً، وكذلك سعيهم إلى زرع وغرس هذه العقيدة الباطلة عن طريق ذكر المآثر والروايات المكذوبة التي تجعل من أهل البيت أناساً ليسوا كسائر البشر.. وغيرها من الأسباب والأهداف الرخيصة التي أردوا من خلال تحقيقها الحصول على أمور لا تخدم الدين وإنما تعمل على تخريب معتقداته الصافية وتعبث بنقاوة شريعته.

ذلك الغلو الذي لطالما حذر منه النبي ﷺ طيلة أيام

حياته، ونهى كل من يقول قولاً فيه شيء من غلو، وزجر كل من عمل عملاً خلطه بغلو، فإنما أهلك الأمم السابقة غلوها في أنبيائها وأوليائها، كما ورد ذلك عن النبي ﷺ .

وإليك أخي الكريم طرفاً من الغلو الذي وقع فيه القائلين بعقيدة الإمامة، والذي يرويه مشائخهم وأئمتهم في أشهر كتبهم ومؤلفاتهم:

الأئمة أول خلق الله!!

يعتقد القائلين بنظرية الإمامة في أئمتهم أنهم أول خلق الله، وُجدوا قبل غيرهم بألاف السنين، وظلّوا على شكل أنوار محذقين بالعرش، يسبحون الله، ويقدمونه، حتى قذفهم الله في صلب آدم، فخرجوا منه إنسيين.

فقد جاء في كتاب الكافي للكليني عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق أنه قال: (قال الله تبارك وتعالى: يا محمد! إني

خلقتك وعلياً نوراً- يعني: روحاً- بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تنزل تهليني وتمجدني، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة فكانت تمجدني وتقديسني وتهليني، ثم قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين، فصارت أربعة: محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين ثنتان، ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا^(١).

وأورد المجلسي حديثاً رفعه إلى أبي محمد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: {لما خلق الله آدم وحواء عليهما السلام تبخترا في الجنة، فقال آدم لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منا، فأوحى الله ﷻ إلى جبريل أن ائتني بعبدي التي في جنة الفردوس الأعلى، فلما دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على

(١) أصول الكافي: (١/ ٤٤٠)، وبحار الأنوار: (١٩٣/٥٤-١٩٤).

درنوك من درانيك الجنة على رأسها تاج من نور، وفي أذنيها قرطان من نور، قد أشرفت الجنان من حسن وجهها. قال آدم: حبيبي جبريل! من هذه الجارية التي قد أشرفت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمد ﷺ من ولدك يكون في آخر الزمان. قال: فما هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلمها علي بن أبي طالب، قال: فما القرطان اللذان في أذنيها؟ قال: ولداها الحسن والحسين، قال: حبيبي جبريل! أخلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله ﷻ قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة^(١).

وهذا يخالف النصوص القرآنية، والآثار الواردة التي تبين أن النبي ﷺ لم يكن إلا رجلاً كسائر الرجال إلا أنه يوحى إليه.

(١) بحار الأنوار (٥ / ٢٥).

سبحانك هذا بهتان عظيم..

يعتقد كل مسلم أن كل ما يجري في هذا الكون هو بأمر الله وتقديره لا شريك له سبحانه، لكنك عندما تطالع في كتبهم تجد ما يثير العجب في هذا؛ حيث يدعون بأن للأئمة أمراً في ذلك، وقد عقد صاحب كتاب الكافي لهذا باباً بعنوان: (باب أن الأرض كلها للإمام)^(١)، ومما جاء فيه:

(عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: {أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله..}^(٢)).

وقد ذكر المجلسي ستاً وثلاثين رواية في أن الأئمة هم وجه الله ويد الله^(٣)، وفي رجال الكشي وغيره قال علي - كما يفترون -:

(١) أصول الكافي: (١/٤٠٧-٤١٠).

(٢) المصدر السابق: (١/٤٠٩).

(٣) بحار الأنوار: (٢٤/١٩١-٢٠٣).

(أنا وجه الله، أنا جنب الله، وأنا الأوّل، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن..)^(١).

وعن سماعة بن مهران^(٢) قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: {أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم. قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام} ^(٣).

سبحان من مقاليد الأمور والخلق والأمر بيده، تعاليت ربنا وتنزهت عما يقولون علواً كبيراً!!

(١) رجال الكشي (ص: ٢٢١)، وانظر: بحار الأنوار: (١٨٠ / ٩٤)، بصائر الدرجات الكبرى (ص: ١٥١).

(٢) هو سماعة بن مهران الحضرمي الكوفي، يكنى أبا محمد، روى عن أبي عبد الله الصادق، مات بالمدينة. انظر: موسوعة الأعلام (٣٠٦ / ١).

(٣) الاختصاص (ص: ٣٢٧)، بحار الأنوار: (٣٣ / ٢٧)، البرهان في تفسير القرآن: (٤٨٢ / ٢).

بل.. ويعلمون الغيب!!

وبلغ بهم الغلو في الأئمة إلى أن يعتقدوا علمهم للغيب، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة! فقد روى المفيد عن سماعه بن مهران أن أبا عبد الله عليه السلام قال: {إن الدنيا لتمثل للإمام في مثل فلقة الجوز فلا يعزب عنه منها شيء، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء} (١). ويقول المجلسي:- (وأنهم يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون إلى يوم القيامة) (٢).

ويقول المفيد: (إن الأئمة من آل محمد عليهم السلام قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم، ولا شرطاً في إمامتهم، وإنما أكرمهم الله

(١) الاختصاص: (ص: ٢١٧)، باب قدرة الأئمة وما أعطر من ذلك.

(٢) اعتقادات المجلسي: (ص: ١٧).

تعالى به وأعلمهم إياه للطف في طاعتهم، والتمسك بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلاً، ولكنه وجب لهم من جهة السماع، فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكر بين الفساد؛ لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا لله ﷻ، وعلى قولي هذا جماعة من أهل الإمامة؛ إلا أن من شذ عنهم من المفوضة^(١)، ومن انتمى إليهم من الغلاة^(٢).

أين ذهب هؤلاء بقوله ﷻ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾؟

(١) قال المفيد: والمفوضة هم صنف من الغلاة. ودعواهم أن الله ﷻ تفرد

بخلقهم خاصة، وأنه فوض إليهم.

(٢) خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال. شرح عقائد الصدوق: (ص: ٢٣٩-

٢٤٠).

وللقبور من الغلو نصيب!

ومن غلوهم في الأئمة تقديس القبور والأضرحة، وهذا لم يعرفه الإسلام ولو في إشارة يسيرة، بل جاءت نصوصه الثابتة بالنهي الصريح عن كل ذريعة تفضي إلى ذلك، فقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على قطع مادة الشرك وسد ذرائعه، حيث نهى عن رفع القبور والبناء عليها وتخصيصها، والصلاة عندها، واتخاذها عيداً، وإيقاد السرج عليها، ونحو ذلك من الأبواب التي تؤدي إلى تعظيم المقبورين والغلو فيهم^(١).

وقد امتلأت كتب القوم الحديثية والفقهيّة وغيرها بمرويات مفتراة على أئمتهم تثبت فضائل مزعومة لمن شد الرحل لزيارة أضرحة الأئمة وطاف بها، ودعا في رحابها،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٤٦٦، ١٦٧، ١٦١-١٦٢)، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١/٤٦).

واستغاث بمن فيها، وتذكر مئات الأدعية التي فيها من الغلو في الأئمة ما يصل بهم إلى مقام الخالق جل شأنه، وفيها من الشرك بالله ما الله به عليم، ففي بحار الأنوار كتاب مستقل سماه: (كتاب المزار) يتضمن أبواباً كثيرة اشتملت على مئات الروايات، وقد استغرق ذلك حوالي ثلاثة مجلدات من كتاب بحار الأنوار^(١)، وكذا هو الحال في وسائل الشيعة للحر العاملي^(٢) فقد ذكر (١٠٦) باباً بعنوان: (أبواب المزار)^(٣).

(١) المجلدات (١٠٠-١٠١-١٠٢) من بحار الأنوار.

(٢) هو محمد بن الحسن بن علي العاملي، الملقب بالحر، فقيه إمامي، مؤرخ، له تصانيف منها: (الوسائل)، (الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة)، (الفصول المهمة في أصول الأئمة)، (أمل الآمل في علماء جبل عامل)، (إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات). توفي سنة (١١٠٤هـ). انظر: الأعلام (٦/٩٠).

(٣) الوسائل إلى تحصيل مسائل الشريعة: (١٠/٢٥١) وما بعدها.

وغير ذلك الكثير والكثير من الجوانب التي غالوا فيها، وقد
أوردنا نزرأ يسيراً منها ليتبين لنا النتيجة المؤلمة لمآل العقول
والقلوب حينما تسلك طريقاً غير طريق الله ﷻ، وتتخذ سنة غير
سنة محمد بن عبد الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

أهل البيت.. والإمامة

أخي القارئ! إن أئمة أهل بيت رسول الله ﷺ هم من أوائل الناس القائلين بالحق الصادحين به، فهم لا يقرون مبدأ مخالفاً لشرع الله وإن كان فيه من التعظيم والتمجيد والتبجيل لهم، كيف لا يكونوا كذلك وهم أبناء المدرسة النبوية الممتثلة والمتمثلة لأمر الله في كل زمان ومكان.

فإنه لم يكن أعلام أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم يقولون بمبدأ الإمامة بالمفهوم الحالي والذي سبق وأن أشرنا إليه، ولم يكونوا أبداً يدعون النص من الله ولا من رسوله ﷺ على أحد منهم، وإليك بعض شهاداتهم:

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن يدعي أن الله جلّ وعلا أو أن النبي ﷺ هو الذي نصبه خليفة، فها هو عليه السلام

يقول كما في نهج البلاغة: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرُدَّ وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك رضا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى»^(١).

وفي نهج البلاغة أنه عليه السلام قال: «كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيَبْلُغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ

(١) نهج البلاغة. باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله إلى أعدائه وأمرائه وبلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياه لأهله وأصحابه: كتاب رقم [٦]: ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية.

الْعَدُوِّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ»^(١).

وهذه شهادة أخرى للإمام الصادق ينفي فيها أن يكون إماماً مفترض الطاعة من الله:

في الكافي عَنْ سَعِيدِ السَّمَّانِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ: أَفِيكُمْ إِمَامٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ؟، قَالَ، فَقَالَ: لَا. قَالَ فَقَالَ لَهُ: قَدْ أَخْبَرَنَا عَنْكَ الثَّقَاتُ أَنَّكَ تُنْفِي وَتَقْرُؤُ وَتَقُولُ بِهِ وَنُسَمِّيهِمْ لَكَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَهُمْ أَصْحَابُ وَرَعٍ وَتَشْمِيرٍ وَهُمْ مِمَّنْ لَا يَكْذِبُ. فَغَضِبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «مَا أَمَرْتُهُمْ بِهَذَا». فَلَمَّا رَأَى الْعُضْبَ فِي وَجْهِهِ

(١) نهج البلاغة: باب المختار من خطب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأوامره ونواهيته وكلامه الجاري مجرى الخطب والمواعظ في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة: خطبة ٤٠: ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم: «لا حكم إلا لله».

خَرَجَا. فَقَالَ لِي: أَتَعْرِفُ هَذَيْنِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ هُمَا مِنْ أَهْلِ سُوقِنَا
وَهُمَا مِنَ الزَّيْدِيَّةِ وَهُمَا يَزْعُمَانِ أَنَّ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ. فَقَالَ: كَذَبًا لَعْنَهُمَا اللَّهُ وَاللَّهِ مَا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الْحُسَيْنِ بَعَيْنَيْهِ وَلَا بِوَاحِدَةٍ مِنْ عَيْنَيْهِ وَلَا رَأَى أَبَوْهُ. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ رَأَى عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَإِنْ كَانَا صَادِقَيْنِ فَمَا عَلَامَةٌ فِي
مَقْبِضِهِ وَمَا أَثَرٌ فِي مَوْضِعِ مَضْرَبِهِ؟. وَإِنَّ عِنْدِي لَسَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، وَإِنَّ عِنْدِي لَرَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعَهُ وَلَا مَتَّهُ وَمَغْفَرَهُ،
فَإِنْ كَانَا صَادِقَيْنِ فَمَا عَلَامَةٌ فِي دِرْعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وَإِنَّ عِنْدِي
لَرَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمِغْلَبَةَ، وَإِنَّ عِنْدِي أَلْوَاحَ مُوسَى وَعَصَاهُ،
وَإِنَّ عِنْدِي لِحَاتَمَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَإِنَّ عِنْدِي الطَّسْتِ الَّذِي كَانَ
مُوسَى يُقَرِّبُ بِهِ الْقُرْبَانَ، وَإِنَّ عِنْدِي الْإِسْمَ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ إِذَا وَضَعَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ لَمْ يَصِلْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى
الْمُسْلِمِينَ نُشَابَةً، وَإِنَّ عِنْدِي لِمِثْلَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَمِثْلُ

السَّلَاحِ فِينَا كَمَثَلِ التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي أَيِّ أَهْلِ بَيْتٍ وَجَدَ التَّابُوتُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ أُوتُوا النُّبُوَّةَ، وَمَنْ صَارَ إِلَيْهِ السَّلَاحُ مِمَّا أُوتِيَ الْإِمَامَةَ، وَلَقَدْ لَبَسَ أَبِي دِرْعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَطَّتْ عَلَى الْأَرْضِ خَطِيطًا وَلَبَسْتُهَا أَنَا فَكَانَتْ وَكَانَتْ، وَقَائِمُنَا مَنْ إِذَا لَبَسَهَا مَلَأَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

إشارة مهمة: ما من شك أن الزيادة التي زادها الراوي والتي فيها طعن الإمام الصادق في الرجلين، لا شك أنها من وضع الوضاعين للتغطية عن نفي الإمام الصادق أنه إمام مفترض الطاعة..

(١) الكافي: (١/٢٣٢): بَابُ مَا عِنْدَ الْأَئِمَّةِ مِنْ سِلَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَتَاعِهِ: رواية رقم ٠١.

فيا أخا الإسلام!

كيف ينبغي لنا أن نقول في الأئمة قولاً نفوه ولم يقروه
لأنفسهم، وكيف تجرؤ نفوس بعضنا على اختلاق معتقدات
في الأئمة ليس لها أصل في نفوس وعقول الأئمة عليهم
رضوان الله؟!!

خاتمة القول..

لقد عودنا الدين الإسلام على ساحة وتيسير لا نظير لهما في كل الديانات، وكذلك أمرنا بالتعامل مع الأشخاص بمبدأ إنزال الناس منازلهم، هذا المبدأ الذي قرّره الرسول ﷺ وعلمه الصحابة الكرام، ولقّنه آل بيته الطاهرين.. فما بال الناس اليوم انسلخوا عن هذا المبدأ الرائع، وعن هذه التعاليم الكريمة؟! ما بال الناس أصبحوا يعظمون جماعات ويعطونهم من الخصائص والميزات التي لم تكن لنبي قبلهم ولا لرجل بعدهم؟! ألم ينهانا النبي الكريم ﷺ عن الغلو في حقه هو فقال: {لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله} ^(١)، فإذا كان هذا النهي في حقه، وهو أجلُّ من

(١) رواه البخاري (٣٢٦١).

مشى على الأرض فكيف بالباقيين من أمته؟

وما بالناس أناساً اعتمدوا عقائد لا وجود لها لا في كتاب

الله ولا في سنة رسوله ﷺ؟ أم إن الأهواء هي المقدمة؟

ثم أيُّ عقيدة وأيُّ إمامة هذه التي تجعل للمخلوق يداً في

تدبير وإدارة شؤون الكون، أليس هذا من الشرك الصريح الذي

لا يختلف عليه اثنان؟

أخي الكريم! إن الحق كل الحق في كتاب الله المحفوظ من

التحريف، وفي سنة رسول الله ﷺ الصحيحة، فلن يضل من

تمسك بهما، ولن يغوى من رجع إليهما..

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

٣ مقدمة
٨ الإمامة في اللغة والقرآن ..
١٢ الإمامة في القرآن الكريم ..
١٥ تطور عقيدة الإمامة ..
٢٥ غلو .. لا سقف له ..
٣٦ أهل البيت .. والإمامة ..
٤٢ خاتمة القول ..
٤٥ فهرس المحتويات ..